امدحه ثقلا لكان اولى وبين المثالين فرق اخر وهو ان منشا الثقل في الاول نفس
اجتماع الكلمات وفي الثاني حروف منها وزعم بعضهم ان من السلاسة جمع كلمه
مع اخرى غير متناسبة لها كجمع سطل مع قنديل وشمعد بالنسبة الى الحمامي
مثلا وهو وهم لانه لا يوجب الثقل على اللسان وهو انما خل بالبلاغة دون
الفصاحة والتعقيد اي كون الكلام مغلقا اعلى ان المصدر من المبني للمفعول
ان لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه لخلل واقع اما في
النظم وان لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم
او تاخير او حذف او اضمار او غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد
وان كان ثابتا في الكلام جاريا على القوانين فان سبب التعقيد يجوز ان اجتماع
امور كل منها شايع الاستعمال في كلام العرب ويجوز ان يكون التعقيد حاصلا
ببعض منها لكنه مع اعتبار الجميع يكون اشد واقوى فذكر ضعف التاليف
لا يكون مغنيا عن ذكر التعقيد اللفظي كما توهمه بعضهم كقول الفرزدق
في مدح خال هشام بن عبد الملك وهو ابرهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومي ٥
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه اي ليس مثله في الناس
حي يقاربه اي احد يشبهه في الفضائل الا مملكا اعطى المال والملك يعني هشاما
ابو امه اي ام ذلك المملك ابوه اي ابو ابرهيم الممدوح والجملة صفة مملكا
اي لا يماثله احد الا ابن اخته الذي هو هشام ففيه فصل بين المبتدا والخبر
اعني ابو امه ابوه بالاجنبي الذي هو حي وبين الموصوف والصفة اعني حي يقاربه
بالاجنبي الذي هو ابوه وتقديم المستثنى اعني مملكا على المستثنى منه اعني احدا
ولهذا نصبه والا فالمختار البدل فهذا التقديم شايع الاستعمال لكنه
اوجب زيادة في التعقيد وقيل مثله مبتدا وحي خبره وما عمل عامله على
اللغة التميمية وقيل بالعكس وبطلان العمل لتقدم الخبر وكلا
الوجهين يوجب قلقا في المعنى يظهر بالتامل في قولنا ليس مماثله في الناس
حيا يقاربه او ليس حي يقاربه مماثلا له في الناس والصحيح ان مثله اسم ما
وفي الناس خبره وحي يقاربه بدل من مثله ففيه فصل بين البدل والمبدل
منه

منه واما في الانتقال الا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل في انتقال
الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى الثاني المقصود وذلك
الخلل يكون لايراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى الوسايط الكثيرة
مع خفاء القراين الدالة على المقصود كقول العباس وهو عباس بن الاحنف
سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب اي تصب بالرفع وهو الرواية
الصحيحة المبني عليها كلام الشيخ في دلايل الاعجاز والنصب توهم عيناي الدموع
لتجمدا جعل سكب الدموع وهو البكاء كناية عما يلزم فراق الاحبة من الكآبة
والحزن واصاب لانه كثيرا ما يجعل دلالة عليه يقال ابكاني واضحكني اي
ساءني وسرني ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضيني ولكنه اخطا
في الكناية عما يوجبه دوام التلاق والوصال من الفرح والسرور بجمود العين
فان الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع حال ارادة البكاء وهي حالة الحزن
على مفارقة الاحبة لا الى ما قصده الشاعر من السرور الحاصل بملاقاة الاصدقاء
ومواصلة الاحباء ولهذا لا يصح ان يقال في الدعاء لا زالت عينك جامدة كما يقال
لا ابكى الله عينك ويقال سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها
كانهما يبخلان بالمطر واللبن قال الحماسي الا ان عينا لم تجد يوم واسط
عليك بجاري دمعها لجمود ٥ فان قيل استعمال الجمود في مطلق خلو
العين من الدمع مجاز من باب استعمال المقيد في المطلق ثم كني به عن المسرة
لكونه لازما لها عادة قلنا هذا انما يكفي لصحة الكلام واستقامته
ولا يخرجه عن التعقيد المعنوي لظهور ان الذهن لا ينتقل الى هذا بسهولة
والكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما يكون الانتقال فيه من معناه الاول
الى الثاني ظاهرا حتى يخيل الى السامع انه فهمه من حاق اللفظ واما الكلام
الذي لم يتبين له معنى ثان فهو بمنزلة الساقط عن درجة الاعتبار عند البلغا
كما ستعرفه في بحث بلاغة الكلام ومعنى البيت ان عادة الزمان والاخوان
الاتيان بنقيض المطلوب والجريان على عكس المقصود واني الى الان كنت
اطلب القرب والسرور فلم يحصل لي الا الحزن والفراق فبعد هذا اطلب

Copyright © King Saud University